# الدين والفن في الحضارات الشرقية القديمة

# Religion and art in ancient Eastern civilizations

**لميس شقعار*[1]**

تاريخ الاستلام: 2021/06/05 تاريخ القبول: 2021/08/17 تاريخ النشر: 2021/12/31

**ملخص:**

يعتبر كل من الفن والدين أحد المكونات الأساسية في حياة الإنسان ، لأن الفرد منذ بداياته لم ينقطع عن الحاجة الى التأملات الروحية التي كان يعبر عنها بفنون جمالية ، فقد كان الإنسان البدائي يحاول التكيف مع العالم الخارجي المتوحش بالاعتماد على تشييد المعابد لمواجهة خوف الطبيعة، وفي مقابل ذلك انتقل الى مرحلة الزراعة لتطوير أسلوب معيشته .فالفن والدين في الأصل مرتبطان ارتباطًا وثيقًا؛ فهما موضوعان ملتحمان في الوعي الإنساني منذ أن حاول الإنسان عبر التاريخ التعبير عن نفسه من خلال أنشطة قصدية فالإنسان البدائي قد وعى المقدس باعتباره قوة هائلة غامضة تتحكم في حياته ومصيره، ولذلك يشعر إزاءها بمشاعر الرهبة والإجلال. وهذا ما جسده في الرسومات المنقوشة على جدران الكهوف، وفي التمائم التي كان البدائي يصنعها قديما

**كلمات مفتاحية:** الفن، الدين ، الإنسان البدائي ، تشييد المعابد ،الرسومات المنقوشة.

**Abstract:**

Both art and religion are one of the main components of human life, because the individual from its beginnings has not ceased the need for spiritual reflections expressed in aesthetic arts, as the primitive man was trying to adapt to the savage world of the pottery by relying on the construction of temples to face the fear of nature and in return moved to the stage of agriculture to develop his way of life. During intentional activities, the primitive man is aware of the Holy One as a formidable and mysterious force that controls his life and destiny, and therefore feels the feelings of awe and reverence. This is what he embodied in the inscriptions on the walls of the caves, and in the amulets that the primitive sought to make in the past.

**Keywords** Art, religion, primitive man, temple construction, engraved drawings.

* جامعة محمد بوضياف المسيلة –الجزائر-، البريد الالكتروني: lamis.chegar@univ-msila.dz

## 1. مقدمة:

تعود جذور الحضارات الشرقية القديمة إلى ما يزيد عن سبعة آلاف عام، فلقد أسس الإنسان عدداً من الحضارات العظيمة على ضفاف الأنهار في مصر والعراق والهند والصين، فكانت بمثابة الإرهاصات المبكرة في تطور الفكر الإنساني.

ولما كانت الحضارة الانسانية مزيجا بين الأبعاد الفكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية فكان لابد من تمازج وتكامل هذه العناصر لتحقيق الرقي الإنساني ومن بين هذه الأسس الدين والفن، فهما يمثلا الركيزة الأساسية لكيان أي أمة على وجه المعمورة فكلما زاد نبل الفن في مجتمع ما ازدادت قيمته الحضارية، ويرتبط الفن بالدين ارتباطا وثيقا لدرجة أنه لا يتصور دين بلا فن، فالحياة الدينية في كل الثقافات تتغنى بالتعبيرات الفنية والأدبية في ممارسة الشعائر والطقوس منذ بداية تواجد الإنسان البدائي وعليه حق علينا ان نطرح هذا التساؤل:

**ماهي إرهاصات الفن البدائي في الفكر الشرقي القديم؟ وفيما تتجلى أهم المنجزات الفنية للحضارات القديمة؟**

**كيف ارتبط الدين بالفن في الحضارة الشرقية القديمة؟**

## 2. ضبط المفاهيم:

### 1.2 مفهوم الفن:

**لغة:** الفن هو المهارة التي تحكمها والموهبة والذوق وهو التطبيق العملي للنظريات العلمية(مجمع اللغة العربية، د س، ص 482)،وبالرجوع الى مجمع الوجيز: فن (فلانا فنا) أي كثر تفننه في الأمور فهو مفن، وفنان، وكذلك فن الشيء = زينه، هذا عن الفعل.

**اصطلاحا:** هو أقدر صنوف النشاط البشري تعبيرا عن التواصل بين الأفراد والأجيال والأمم( كلايفن بل، 2013، ص 33)، الفن هو لون من ألوان الثقافة الانسانية وهو دليل على الابداع وأداة تعبير عن الذات الانسانية واحتياجاته.

### 2.2 مفهوم الدين:

**الدين لغة:**(religion ) هو اشتقاق من religar ويقصد به الربط أي ربط الواجب اتجاه بعض الممارسات(أندري لالاند، 2001، ص1204)، وفي اللغة العربية يقصد به العادة والحال، والسيرة والسياسة، والرأي والحكم ، والطاعة والجزاء ، ومنه : مالك يوم الدين.

**اصطلاحا:** يحدد "لالاند" ثلاثة مفاهيم أساسية للدين:

1-مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود إيلاف من الأفراد المتحدين بأداء بعض العبادات المنتظمة وباعتماد بعض الصيغ ، بالاعتقاد في قيمة مطلقة، بتنسيب الفرد إلى قوة روحية أرفع من الانسان وهذه ينظر إليها إما كقوة منتشرة وإما كثيرة وإما وحيدة هي الله.

2-نسق فردي لمشاعر واعتقادات وأفعال مألوفة موضوعها الله.

3-الاحترام الضميري لقاعدة، لعادة، لشعور.(أندري لالاند، 2001،ص 1206)

ويعرفه الرازي:"الدين هو العادة و الشأن، ودانه يدينه دينا بالكسر، والدين هو الجزاء والمكافئة يقال: دانه يدينه دينا، أي جازه، ويقال: كما تدين تدان ، كما تجازى تجازي بفعلك وبحسب ما عملت"( الرازي، 1999، ص91)

وانطلاقا من هذه التعاريف يتضح بأن الدين ظاهرة اجتماعية ترتبط بمجموعة من الأفراد، يتجسد بالاعتقاد المطلق والايمان بالقوة الروحية الغيبية المتعالية ويتجلي في ممارسات وأفعال تمثل الطقوس والعبادات يلتزم بها المخلوق اتجاه الخالق.

## 3-اتجاهات تفسير الدين:

برزت عدة اتجاهات لتفسير أصول الدين يمكن تصنيفها كالآتي:

**النظرية الروحية** : لم تعرف البشرية في المراحل الأولى الدين إلا بعد التقديس الحاصل للزعماء حيث تحولت أرواحهم تدريجيا إلى الهة على حد تعبير "هربرت سبنسر" وجاء بعده الانتربولوجي تايلور وأسس ما يعرف بالنظرية الروحية يرى من خلالها أن الإنسان البدائي لم يكن يفصل بين ماهي حي وجامد لذا ربط حركة الطبيعة بكل ما هو غيبي ميتافيزيقي روحي لذا فالدين عند تايلور نشأ عن طريق التفكير والتأمل في الأحلام.

**النظرية الطبيعانية**: أما ماكس موللر فقد فسر لجوء الإنسان البدائي للدين نتيجة رهبته ودهشته من الظواهر الطبيعية فأعطى للآلهة اسماء للطبيعة مثال اسم Agni الذي يطلق على اله النار هو نفسه اسم النار لذا فالقدماء قاموا بتسمية قوى الطبيعة بما يدل على فعلها تحولت بفعل الزمن الى الهة بفعل الخيال الجمعي.

**الاتجاه العاطفي**: هذا الاتجاه ربط الدين بالعواطف الإنسانية خاصة الخوف والطمع (الخوف من الموت والطمع بالاستمرارية في الحياة) فهذان العاطفتان يقودان الإنسان الى معتقد يجعله ذو كيانين الأول مادي فان والثاني يتجاوز الفناء المادي وينتقل الى الخلود الأبدي هذا ما جعل فكرة الألوهية تترسخ في الفكر لكي يحقق لنفسه الخلود.

**الاتجاه الارجاعي**: يرجع الدين الى جملة من العمليات النفسية السيكولوجية أبرزها الحاجة الى اله مشخص ليؤدي دور الأب وهذه الحاجة ناتجة حسب فرويد الى شعور الطفل بالضعف في مرحلة الطفولة واتخاذ صورة القوة والشجاعة للأب لذلك تجسد الدين في القبائل البدائية .

إن الفن قديم قدم الانسان فقد بدأ الانسان في مواجهة العالم الشاسع محاولا ايجاد ملاذا آمن من تقلبات وقسوة الطبيعة فاعتقد وجود الطقوس السحرية والطوطمية في عبادة الإله، ويبدأ الفن عند الإنسان البدائي منذ محاولته الأولى سكن الكهوف والملاجئ وصناعته لسلاحه من الحجارة بهدف الدفاع عن النفس وصيد الحيوانات (راوية عبد المنعم عباس، 1998،ص 21) وعندما عرف الانسان البدائي الزراعة وكانت الأخيرة بدايته عهد جديد لنزوعه الفني وتكور إحساسه بالجمال وما لبث أن أخذ يزخرف جدران الكهوف بشتى أنواع الحيوانات المستمدة إلهامها من البيئة التي كان يعيشها الإنسان البدائي حينذاك.

ان نشأة الفن الأولى لم تكن فنية بقدر ما كانت وظيفية استعمالية، فقد حاول الانسان البدائي أن يبتدع الآلات التي تسعفه وتكون له امتدادا من يديه وقدميه وسائر حواسه التي منحها الله إياه(راوية عبد المنعم عباس، 1998،ص 21)، ان الفن والابتكار بدأ مع حضارة بني الانسان منذ بدايته ككائن بشري على الأرض فهو قديم قدم الحضارة الانسانية ومنه يقول "ارنست فيشر":" إن عمر الفن يوشك أن يكون هو عمر الإنسان، فالفن صورة من صور العمل، والعمل هو النشاط المميز للجنس البشري"(ارنست فيشر، 1971، ص21)

كما أن الاحساس بالجمال شيء فطري داخل الانسان عبر عنه على نحو مماثل لفطرته على هذا الإحساس وقد أثبت ذلك الانثربولوجيون عند كشفهم عن الكهوف القديمة في جنوب غرب فرنسا وشمال شرق اسبانيا وشمال افريقيا فقد هيأت البيئة في هذه العصور ظروفا ساعدته على الكشف عن ذاته آنذاك( راوية عبد المنعم عباس، 1996، ص17).

نشأ الفن منذ أن بدأت الحياة البشرية لذا فهو مرتبط بالإنسان ارتباطا وثيقا ، ويبدو أن الإنسان البدائي كان يهدف الى سد حاجاته الفسيولوجية الضرورية من الماء والغذاء والجنس وتأمين حياته بالدفاع عن نفسه ضد أخطار الطبيعة من جهة وعدوان الحيوان الضار من جهة أخرى فضلا عن صراعه الدائم بينه وبين بني جنسه حول موارد الحياة الضرورية حيث كفلت الطبيعة له وقتذاك وجدانا حيا يقضا بريئا كوجدان الطفل فاستغله في العطاء الذهني ووضع حضارته البسيطة على سفوح الجبال وذلك في ظروف طبيعية قاسية(راوية عبد المنعم عباس، 1996، ص17)

وتكمن قيمة الفن عند البدائي فيما كان يصنعه من أدوات يكمل بها بقائه كالأسلحة والحجارة الصلبة والكهوف، كما أن الانسان البدائي لم يكن يفصل بين الفعل الحقيقي والتمثيل السحري له، فعندما كان يصور حيوانا يعتقد أنه أنتجه حقيقيا(هاوزر ارنولد، 1998، ص18)

## 4-الدين والفن في الحضارة القديمة المصرية:

بعد أن حلت المشاكل الصناعية في الحضارة المصرية وتحقيق الحياة الضرورية المعيشية بدأت مشاكل الروح تفرض نفسها ومن هنا ظهر الفكر الديني في مصر القديمة 4500ق.م على وجه التقريب

عندما وصلت الى درجة معقولة من التقدم الحضاري، ثم ظهر بعد ذلك في بلاد ما بين النهرين، ولم يبدأ ذلك الفكر الديني في الظهور في الشرق الأقصى قبل سنة 600 ق.م ,The world book Encyclopedia (21)

لقد ارتبط ظهور الفنون في الحضارة المصرية بالمعتقدات الدينية ويظهر ذلك في عدة مجالات فنية أبرزها: فن العمارة، لما كان الاعتقاد الديني آنذاك يجسد فكرة أن للإنسان حياة آخروية اذا سلم الجسد من التلف وتزود الميت بما يحتاجه من وسائل البقاء أبدع المصريين في تصميم مقابر الموتى مثال مقبرة الملك زوسر حيث تتكون من شبكة من الممرات والدهاليز والأبهاء تقع تحت مبنى حجري يتكون من ست مصاطب مستطيلة الشكل وذات جوانب مائلة مبنية فوق بعضها وتتضاءل كل منها في المساحة كلما اتجهنا إلى اعلى ويصل ارتفاعها الكلي نحو 200 قدم (حوالي 60.96متر) ( هالة السيد البشيشي، 2014، ص15)

كان الفن المصري القديم مرتبطا ارتباطا وثيقا بالنظم الدينية يقول د. محمد أبو الريان :"لهذه النظم الدينية تأثيرها الفعال في حياة الجماعة، وفي النشاط الفني بوجه خاص ... ولاشك أن دراسة النظم الاجتماعية للشعوب البدائية تطلعنا على مدى تغلغل الدين في حياة الجماعة، وكذلك نجد تأثير الدين في الفنون واضحا في مختلف العصور، فقد كان الهام الفنان المصري القديم من مبادئ الدين المصري القديم ، وقد تأثرت فنون العمارة والنحت والرسم والموسيقى بالنظام الديني عند قدماء المصريين (هالة السيد البشيشي، 2014، ص22)

لقد كان للعقيدة أثر جلي في الفنون المصرية حيث كانت رسوماتهم تعبر عن ذلك مثال رسم ملك يقدم للآلهة قرابين أو يتهجد أمام الاله...الخ.

اتخذ الفن عدة أشكال في الحضارات الشرقية القديمة حيث اتخذ الإنسان البدائي العديد من الصور للتعبير على نمط معيشته الواقع فاتخذ من الأدوات البدائية المستعملة سواء في الزراعة أو الصناعة من فروع الأشجار والعظام والأصداف من عهود قديمة جدا وقام بتطويرها ومحاولة تزيينها وهكذا بدأ العمل الفني يتجسد في ذهنية البدائي، كما أبدعوا في جدران الكهوف ورسموا عدة رسومات من أنواع الحيوانات المفترسة كالأبقار والثيران الوحشية والوعول والغزلان والخيول وأنواع أخرى وقدر الزمن الذي رسمت فيه هذه الكهوف بين 35000-30000 سنة تقريبا(علي عبد المعطي محمد، 2005، ص15)

ثم انتقل الى تمثيل الآلهة على شكل تماثيل وقد تنوعت حسب كل جماعة أو قبيلة حيث اتخذت كل قبيلة رمز وشعار ومعبود منحوت بكتلة من الحجر أو ساق الشجر وأقاموه في ساحة متسعة تلتفت حولها مساكن القرية من خلال حفلات الرقص والأعياد( علي عبد المعطي محمد، 2005، ص 22)، ان الفن مقرونا بهيمنة الدين في الحضارة الشرقية فما ميز هذه المرحلة بالزخرفة والابتعاد عن الحقيقة

والعالم الواقعي، نجد الفن المصري يعبر عن الصلة بين الفن والدين من خلال الاهتمام بصناعة الأواني الفخارية المزينة والفؤوس والأدوات والحلي ليتم وضعها في المقابر .

ان تطور فن العمارة كان شاهدا على تطور العقيدة عندهم من الدفن في الحفرة فالمصطبة فالهرم المدرج ثم الهرم ( علي عبد المعطي محمد، 2005، ص15).

ان العلاقة بين الفن والعقيدة في الحضارة المصرية قديمة وأزلية اتصالية لا يمكن الفصل بينما فقد ظل العنصر العقائدي يؤثر في فن الإنسان البدائي كما في الفن المصري القديم ، فلاشك في أن العقيدة هي القوة المسيطرة على مشاعر المصريين، وغيرهم من شعوب العالم القديم، فكان الفرد في بادئ الأمر يتضرع لربه ليدرأ عن نفسه السوء، ويجزيه الخير، ولكنه في الوقت ذاته يريد أن يحتال على قضاء حوائجه المستعصية عليه فنجد أن الانسان قد اعترف بأنه في كل الأزمات محاط بقوى خفية خارجة عن نطاق فهمه ولم يكن في استطاعته أن يقاومها بما في متناوله من وسائل وقد حاول أن يستميل هذه القوى بالتضرع تارة وبالفن تارة أخرى، والواقع أن الدين والسحر هما وليدا هذا المجهود الانساني المزدوج( سيريل ألدريد، 1990، ص 15).

لقد كان دور السحرة والكهنة شبيها بدور الفنانين المبدعين، والديانة المصرية القديمة كانت ابداع والهام وخيال تابع من العقل البشري مثلما كان الفن من ابداع الفنانين فالكاهن فنان وهنا يتجسد الارتباط والاتصال الوثيق بين العقيدة والفن، يقول سيريل ألردريد:" لقد أدرك المصري تماما أن الدنيا من حوله صندوقية البناء يقطعها محوران متناظرة رئيسان متعامدان الأول هو المجرى العام للنيل من الجنوب الى الشمال أما الثاني فهو خط عبور الشمس من الشرق الى الغرب في صفحة السماء وكانت السطوح المتلامسة في هذا المحيط تحدد ككيانات مستقلة بحيث تظهر في أي معبد مصري مكتمل ... لذلك نجد المعابد المصرية مكعبة الشكل تماما كأنها نموذج للدنيا يوم خلقت( سيريل ألدريد، 1990، ص15) وهنا تتمثل رمزية المصري في تشكيل الفنون بطابع عقائدي فقد كانوا يعتبرون التمثال رمزا من رموز الخلود مما يجعلهم يسرفون في نحث التماثيل في المقابر والمعابد لتتقمصها أرواح الموتى الخالدة عندما تهبط من عالمها السماوي، ونقشوا كل ما يتصل بالحياة الدنيا والآخرة في مناظر على جدران تلك المقابر لتستفيد بها الأرواح في العالم غير المنظور، كما دفعت العقيدة الدينية المصرية الفنون بالاهتمام بعمارة المقابر باعتبارها من البيوت الأبدية واستمروا يطورون معابد الشعائر الآخروية ومقاصيرها ويتفننون في تشكيل أجزائها وتزيين تفاصيلها باعتبارها وسيلة لتحقيق الخلود ( محمد أبو ريان، 1988، ص 209-210).

اتسمت الحضارات القديمة بوجود منشآت ضخمة ذات طابع طقوسي ومثال هذه المنشآت الأهرامات المصرية، وأبي الهول، والمعابد الفرعونية المتعددة، والتماثيل الضخمة، وسور الصين العظيم، وحدائق بابل المعلقة، وغيرها من هذه المنشآت.

ولقد أقيمت هذه المنشآت لأسباب دينية طقوسية، كفكرة البعث والخلود لدي المصريين القدماء، كما كان للبعد السياسي دوره في ذلك، حيث كان الملوك يبنون قصوراً ومعابد ضخمة لكي تخلد أسمائهم وتاريخهم.

كما حدث تطور كبير في فنون الكتابة والنقش والرسم والنحت، حيث خلفت هذه الحضارات عدة أنواع من الكتابة كالهيروغليفية والمسمارية، وتركت رسوماً رائعة وتماثيل ضخمة تشهد بروعة الجانب الفني في هذه الحضارات.

كما استفادت الحضارة الفرعونية قديماً من الفنون في اظهار إبداعهم، والذي تجلى في التماثيل والمسلات والنقوش والرسم وصناعة حلى وفن العمارة، كما اشتهر المصريون القدماء بحبهم للموسيقى واستخدامها بشكل كبير في حياتهم اليومية كتربية الأبناء والاحتفالات واقامة الصلوات ودفن الموتى وخلال الحروب وغيرها، إلى جانب الزخارف التشكيل والرسم، وفن الكتابة على ورق البردى ، فكل هذه الفنون ادت إلى التطور العملي والفني لدى حضارة المصريين القدماء وقادتهم إلى اختراعات واكتشافات مهمة مثل الكتابة واستخدام المداد في الكتابة على أوراق وتحنيط الموتى وغيرها من الطفرات العملية التي اشتهرت في العصر الفرعوني.

## 5-الدين والفن في حضارة بلاد الر افدين:

لقد عرف الإنسان البدائي العديد من الصناعات الفنية وتعتبر صناعة الفخار من بين أوائل الفنون التي ظهرت على المعمورة حيث عرف الناس نوعا من الطين المستخرج من الأرض يمكن تشكيله على هيئة شكل يمكن الاحتفاظ بشكله بعد التجفيف( سوزان بتسيرون، 2011، ص 1).

كما شاركت حضارة بلاد الرافدين الحضارة المصرية التراث القديم الذي شهد إبداع في شتى الميادين الثقافية والعلمية والفنية وقد ساعد في نشأة هذه الفنون عدة عوامل منها توفر الموارد الأولية في بلاد الرافدين مثل الطين الذي كانت تخلفه مياه الأنهار (الدجلة والفرات) اذ كان يصنع به مواد البناء الأساسية بالإضافة إلى التماثيل الطينية التي لا حصر لها كما كانت متوفرة عيدان القصب في جنوب بلاد الرافدين (القسم السفلي من نهر الفرات) التي كانت تستخدم في بناء الأكواخ وفي تقوية الجدران المبنية من التبن ( وفاء ابراهيم احمد، 2014، ص 87) أما بالنسبة للمعابد والقصور الفخمة ونحت التماثيل فقد شيدوا بواسطة الخشب المستورد عن طريق التجارة فقد كان قوم بابل مولعون جدا بالتجارة وقد كانوا يستخدمون الرق والعبيد في فتح القنوات الزراعية وسجلوا قواتهم في الزخرف والأواني والأشوريون كانوا رجال حرب وصيد وظهر منهم التجاريين والبنائيين وصانعي الحلي والأدوات الموسيقية [†] أو عن طريق الغزوات والحروب .

كانت في بلاد الرافدين القوة والانتصارات الحربية أكثر ما يشغل التفكير مما دفع الفنانين الى تصوير مظاهر هذه القوة وانتصار الملوك والأمراء في اللوحات والتماثيل الكثيرة وذلك تخليدا لذكراهم التي لا تخلو من التمجيد الديني "الواقع أنه غلب على شعوب هذه المنطقة عامة حب الحياة، والنضال من أجل الظفر بأكبر قسط من السيطرة والسلطان، فاحتدمت عواطفهم بالبطولات واتجه نشاطهم في الفن الى تمجيد ملوكهم المحاربين الأشداء فأظهروهم في الصور أحيانا تتحلقهم الآلهة"( عز الدين اسماعيل، 1974، ص 48)

لم يكن هناك ايمان بخلود الانسان وبعثه وعودته الى حياة أخرى ثانية بعد الموت في بلاد الرافدين مثل المصريين لذا نجد اهمال المقابر وعمارتها وتم الاهتمام بالعمارة التي تتعلق برموز الكون المتحكم بحياة البشر كما نرى في التماثيل والصور العديدة لآلهة الخلق وتبدل الفصول.

وفي بلاد مجاورة كان الفن الفارسي القديم نتاج فكر ديني بامتياز خاصة مع العقيدة التي وضعها (زرادشت)، فقد عبرت الأعمال الفنية والأدبية قصة الحياة والكون بتفسير الصراع بين هاتين القوتين، هذا الفكر الديني أعطى الفن الفارسي طابعا دينيا ملحميا بامتياز.

اكتشف الإنسان البدائي الزراعة في منطقة الشرق القديم وعرف الإنتاج بعد أن كان دوره مستهلك سلبي فقط وعليه عرف قيمة الأرض فبدأ يتزود بخيراتها ويستغلها وعرف الاستقرار لم يتوقف عند هذا بل بدأ يفكر في الكون والخلق ولما كانت الأرض المصدر الرئيسي في بقائه أراد أن يعبر عن حبه لها فقدسها وعبدها وصنع تمثالا لها من الطين على شكل امرأة عارية لأنها تشترك مع المرأة في الخصوبة والإنتاج.

ثم تطور فكرهم الا ان وصل لمرحلة تأسيس الإمبراطوريات القديمة في منطقة الشرق القديم خاصة في واد الرافدين ووادي النيل وانتشرت فكرة تعظيم الآلهة لأنها المسؤولة على خلق الشر حسب الأساطير السومرية القديمة وعليهم أن يخضعوا لأوامرها ويطيعوا الحكام الذين تختارهم الآلهة لذا كان الملوك السومريون وهم الكهنة يتمتعون بالقدسية منذ أقدم العصور حيث كانوا يسكنون في جناح خاص ملاصق للمعبد يسمى كيبار، بمعنى أن الملك لم يكن له قصر مستقل للحكم، إلى درجة يمكننا القول أن العمارة السومرية عمارة دينية تركزت بشكل رئيسي على بناء المعابد وانعكست هذه الرؤية السياسية الدينية في تخطيط وعمارة المدينة فكان لكل مدينة معبد خاص وإله خاص.

كما كان اكتشاف المعادن نقلة جديدة للحضارة التاريخية حيث استطاع الإنسان أن يستبدل الأدوات الحجرية التي ظل يستعملها لأكثر من مليون عام إلي أدوات معدنية لها سمات متميزة ، وقد كان السومريون أول من عرف المعادن كالذهب والفضة والنحاس، وأول من صنع خليط البرونز، كما أن المصريين برعوا في تصنيع النحاس بما في ذلك تنقية الخام وخلطة وطرقه وصبه، كما أبدعوا في صناعة الذهب والفضة وعليه تغير نمط الحياة القديمة جذريا واتجه الإنسان البدائي من التفكير المادي للتفكير المجرد وشرع من ثم في صياغة العديد من المعتقدات والقيم التي اصطبغت بصبغة دينية .

## 6-الدين والفن في الحضارة الهندية:

ولا ننسى الحضارة الهندية التي قدمت الكثيرة للحضارة الانسانية حيث اشتهرت بفنون خدمت العقائد الدينية كالنحت والرسم والفن المعماري، وكذلك التأملات المسجلة في نصوص الفيدا مثل نص الريج فيدا الذي يعني أشعار الحكمة ويعد المصدر الأدبي الأكثر أهمية في الديانة والثقافة الهندية وقد ألحقت بها كأجزاء ختامية تعرف بالأوبانيشاد و هذه النصوص جرى تأليفها فيما بين 800ق.م و 500 ق.م حيث تحفل بالفكر التأملي والتصوري فيما يتعلق بطبيعة النفس والواقع ( جون كولر، 1995، ص 41) وقد كانت هذه الأشعار الفيدية موجهة الى الآلهة ولها وظيفة مركزية في تأدية الطقوس الدينية ، لكن ذلك لا يعني أنها مجرد ترانيم للعبادة أو تراتيل للطقوس فبعضها أعمق من ذلك بكثير فهو يقدم رؤى عميقة ودقيقة للواقع. بل ان الآلهة الذين تتم مخاطبتهم في هذه الأشعار ليسوا موجودات ذات سمات بشرية بل هي رموز للقوى الأساسية للوجود ( جون كولر، 1995، ص 44)

في الحضارة الهندية القديمة أدى الدين دورا لا يقل عن باقي الحضارات في توجيه الأعمال الفنية وتوظيفها في خدمة المعتقد ويتحدث كتاب العند المقدس (الفيدا) عن آلهة خارقة تمثل قوى الطبيعة وتدير الكون وهي كما تجسدها المنحوتات تحمل هيئات البشر وذلك حتى القرن 7 قبل الميلاد، ليظهر بوذا وينشر ديانته القائمة على وحدة الوجود والتناسخ.

## 7-الدين والفن في الحضارة الصينية:

نجد كذلك الحضارة الصينية التي اهتمت كثيراً بالأدب والموسيقى والرسم والزخارف و الفنون البصرية إلى جانب المهارات الحركية في الدفاع عن النفس حيث اسهمت الحضارة الصينية في العديد من الاختراعات كصناعة الورق والبارود والطباعة، وكذلك الإسهامات العلمية في الرياضيات والفلك والطب.

أقر **كونفوشيوس** "بتفوق الموسيقى، عند استعمالها بوظيفتها الروحانية وسلطانها على أفئدة الناس. وكان يفضل القصائد الصينية القديمة، والتي كانت تنظم عادة في صيغة موسيقية، كان يشيد بقيمتها الحضارية. كان يرى أن الدولة التي تمتلك موسيقى وشعائر خاصة بها، يتم اختيارهم من بين الأعراف والتقاليد الموجودة، يمكن أن تنتج مواطنين سعداء ويتمتعون بقدر كاف من الفضيلة، يجعل الدولة في غنى عن تشريع القوانين حتى تضمن حسن انضباطهم. سيعم البلاد الأمان وتصبح القوانين بلا فائدة وفي هذا الشأن يقول كونفوشيوس:" احكم الشعب بالتنظيمات واحفظ النظام بينهم بالعقوبات وسوف يفرون منك ويفقدون كل احترام للذات واحكمهم بالقوة الأخلاقية واحفظ النظام بينهم بالطقوس والشعائر وسوف يحتفظون باحترامهم لأنفسهم ويقبلون عليك طواعية ( هيلدا هوخام، 2002، ص39).

الفنون تحكي لنا عن تاريخ الانسان من خلال مئات والاف السنين كما تمدنا بالمعارف والمعتقدات والاخلاق والقوانين والعادات الحالية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية السائدة في عصر من العصور .

ولن نتوصل الى فهم الجنس البشري وتاريخ الانسان على سطح الارض الا اذا سلمنا بأهمية وتفوق المعرفة التي يجسدها الفن . والفن موجود في كل مكان في ارجاء المعمورة في شتى المظاهر مستمرا وخالدا يحكي قصة حياة الانسان على هذه الارض . فقد صنع الانسان اشياء تمس حاجته واهتماماته لإضفاء البهجة والراحة على عالمة وحياته اليومية وذلك في صور اشكال ورموز كلغة عالمية لها ابجديتها واسسها وعناصرها الخاصة لتبليغ معنى او رسالة او هدف ، ويحول الفن في جميع نشاطاته الاساسية ان يحدثنا عن شيء ما حول الكون او حلول المجتمع او البيئة او حول الانسان او الفنان نفسه .

وعالم الفن هو نهج للمعرفة ذو قيمة للإنسان والفن الاصيل وراسخ لأنه ينبع من النفس البشرية من الارض والمعتقدات والماضي والتاريخ وعندها نقر بان الفن طريقة متوازية للمعرفة بل وانه متميز على سائر الطرائق التي بواسطتها يتوصل الانسان الى فهم كونه وبيئته ومجتمعه ونفسه ، عندها فقط يتاح لنا تقدير اهمية الفن في تاريخ الانسان .

وفرت البيئة البدائية أدوات بسيطة للإنسان القديم من أجل تجسيد موضوعات فنية كالنحت والنقش والتصوير حيث لا يمكن لنا أن نحصل على منتج فني خارج عن ذاك المتاح الأدواتي البسيط وهنا تتمثل الأساليب الفنية للفنان في كل عصر المتفاعلة مع الموهبة والخيال ومتطلبات العصر.

ارتبط الفن بالدين في العصور القديمة نظرا لمكانة المعتقد الديني آنذاك للأفراد والجماعات، ومزج الإنسان في هذه الفترة بين الظواهر الموضوعية وبين الأبعاد النفسية من خلال بلورة الصورة الدينية في تمثيل مادي، فوضع الفنان الآلهة في المنحوتات والمنقوشات لذا برزت لأعمال الفنية في العصور القديمة لغرض ديني فرضه العصر .

ومن الدوافع الفنية نجد عامل محاكاة الطبيعة حيث نجد الأعمال الفنية ذات نزعة مطابقة للطبيعة، أنجز الإنسان البدائي كثيرا من الأعمال الفنية المشخصة والمجسدة بما فيها أشخاص وحيوانات ورموز وإشارات وطلاسم...الخ. فالصور التي رسمها هي جزء من طقوس ومعتقدات ترى أن السيطرة على شيء ما يتم من خلال تصويره وتمثيله رمزيا "إن فنان العصر الحجري القديم عندما كان يصور حيوانا على صخرة كان ينتج حيوانا حقيقيا ذلك لأن عالم الخيال والصور ومجال الفن والمحاكاة المجردة لم يكن قد أصبح في نظره ميدانا خاصا قائما بذاته مختلفا عن الواقع التجريبي ومنفصلا عنه ولم يكن قد واجه المجالين بعد وانما رأى في أحدهما استمرارا مباشرا متجانسا للآخر (ارنولد هاورز، 2005،ص 18)، ان العديد من الرسومات التي كانت في زوايا الكهوف كانت استجابة لمعتقد ما.

## 8-خاتمة:

وفي الأخير نستطيع القول بأن لكل عصر أبعاد فكرية وحضارية متداخلة تؤثر على الموضوعات الفنية من حيث الإبداع وظرف الإنتاج، ويعتبر المعتقد الديني مؤثر مهم وأساسي في مجمل العملية الفنية في الحضارات الشرقية القديمة . فلا يمكن أن يمضي الفن بمعزل عن روح العصر الذي يعتبر الفضاء المتاح بما يحمله من بنية اجتماعية وقواعد مادية بالإضافة للمعتقدات الدينية والمفاهيم الروحية، وعليه ارتبط الوعي الجمالي في الشعوب البدائية الشرقية بكل ما يتعلق بالمجتمع من طابع ديني مزج الانسان فيه بين الظواهر الموضوعية وبين الأبعاد النفسية (الخوف) فتكونت العقائد الدينية تبعا لذلك وكان الفن معبرا عن الطقوس والشعائر الدينية ، فالعقلية البدائية كانت تعيش في عالم متكامل لا يوجد فيه فصل واضح بين المادة والروح والتداخل بينهما قائم بقوة المعتقد.

## 9-قائمة المراجع:

### المراجع باللغة العربية:


1. ابراهيم أحمد، وفاء،(2014): تاريخ العمارة، الأردن، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
2. أبو الريان، محمد،(1988): فلسفة الجمال، الاسكندرية، دار المعارف الجامعية.
3. أرنولد، هاوزر، (1998): الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد زكريا، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
4. اسماعيل، عز الدين، (1974):الفن والانسان، ط1، بيروت، دار القلم.
5. ألدريد، سيريل، (1990): الفن المصري القديم، ترجمة: أحمد زهير، القاهرة، مطابع هيئة الآثار المصرية.
6. ألدريد، سيريل، (2010):الحضارة المصرية الفرعونية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
7. بتسيرون ،سوزان، (2011): التشكيل بالطين، ترجمة: صالح بن حسين الزاير، الرياض، النشر العلمي والمطابع.
8. بل، كلايفن، (2013):الفن، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع.
9. الرازي،(1999):مختار الصحيح، ج1، ط5، بيروت.
10. السيد البشيشي، هالة، (2014): تاريخ الفن، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
11. طرابيشي، جورج، (2006): معجم الفلاسفة،ط3، لبنان، دار الطليعة للنشر.

12. عبد المعطي محمد، علي،( 2005): الحس الجمالي وتاريخ التذوق الفني عبر العصور، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
13. عبد المنعم عباس ، راوية، (1998):الحس الجمالي وتاريخ الفن، ط1، بيروت، دار النهضة العربية.
14. عبد المنعم عباس، راوية، (1996): الفن والحضارة، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
15. فيشر، ارنست،(1971): ضرورة الفن، ترجمة: أسعد حليم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
16. كليكل، هوريست، (1990): حمورابي البابلي وعصره، ترجمة: محمد وحيد خياط، سوريا، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر.
17. كولر، جون، (1995): الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
18. لالاند، أندريه، (2001): موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول،ط1، باريس، منشورات العويدات.
19. معجم اللغة العربية،(1989): المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية.
20. هاورز، أرنولد، (2005): الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة :فؤاد زكريا، الاسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر.
21. هوخام، هيلدا، (2002):تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

## المراجع باللغة الأجنبية:

1. The world book Encyclopedia :Modern comprehensive pectoris volume 5 ;the quarries Corporation.Chicago